سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «كشف الشبهات»

الدرس التاسع

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

أخي طالب العلم إرسالك للأخطاء التي تتخلل التفريغ يسهِّل إخراج نسخة مصححة
attafreegh@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس التاسع

[الجواب المفصّل]

وَأَمَّا الجوَابُ المُفَصَّلُ: فَإِنَّ أعْدَاءَ اللهِ لَهُمُ اعْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَىٰ دِينِ الرُّسُلِ يَصُدُّونَ بِهَا النَّـاسَ عَنْـهُ، -مِنْهَا: قَولُهُم: نَحْنُ لا نُشْرِكُ بِاللهِ [شَيْئًا]، بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لا يَخْلُـقُ وَلا يَـرْزُقُ [وَلا يُحْيِـي وَلا يُمِيـتُ وَلا يُدَبِّرُ الأَمْرَ] وَلَا يَنْفَعُ ولا يَضُرُّ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًـا وَلا ضَـرًّا، فَضْلًا عَنْ عَبْدِ القَادِرِ أَوْ غَيْرِهِ، وَلَكِنْ أنا مُذْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُم جَاهٌ عِنْدَ اللهِ، وَأَطْلُبُ مِنَ اللهِ بِهِمْ.

فَجَاوِبْهُ بِما تَقَدَّمَ؛ وَهُوَ: أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُـولُ اللهِ ﷺ مُقِـرُّونَ بِمَـا ذَكَـرْتَ [لِـي -أَيُّهـا المُبْطِـلُ-]، وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُم لا تُدَبِّرُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا أَرَادُوا مِمَّن قَصَدُوا الجاهَ وَالشَّـفَاعَةَ، واقْـرَأْ عَلَيْـهِ مَـا ذَكَـرَ اللهُ في كِتَابِهِ وَوَضَّحَهُ.

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه، وأشـهد أنَّ محمَّـدًا عبـد الله ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا إلىٰ يوم الدِّين.

أسألُ الله لي ولكم العلم النَّافع والعملَ الصالح والقلب الخاشع، ربَّنا اجعـل مـا علّمتنـا حجّـة لنـا، نعوذ بك أن نضل أو نُضل، أو نزل أو نُزل، أو نجهل أو يُجهل علينا.

لما ذكر إمام الدعوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ورفع درجته أنّ جواب أهل الباطل مـن طـريقين مجمـل ومفصـل: ذكر المجمل، ثم ذكر المفصَّل.

ومن المعلوم في فنِّ التَّأليف أنَّ التَّقاسيم إذا وردت فإنَّه يناسب أن يقدَّم ما كان الكلام عليه مختصرًا، وما كان الكلام عليه مطوَّلًا فإنّه يؤخَّر، ولهٰذا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قدَّم المجمل علىٰ المفصَّل لاعتبارات:

منها أن الكلام علىٰ المجمل قليل والكلام علىٰ المفصل كثير، ولو أخَّر الكلام القليل لذهب الذِّهن في المفصل ونسي أنه سيأتي المُجمل.

ومن فوائد تقديم المُجمل علىٰ المفصَّل أن المجمل يفهمه كلُّ أحد، يحتاجـه كـل موحِّـد، وسـهْلُ الفهم إذا علم عقيدةَ التوحيد وفهِم بعض أدلَّتها، فإنه يمكنه أن يجعل ذلك محكَمًا، فـإذا أتـىٰ مـن يشـبِّه

عليه دينه، ومن يجعله يتردَّد في بعض هٰذه، أو يشكِّكه أو يورد عليه الشُّبه فإنه يحتجّ عليه بالمحكَم فلا يجد ذلك صعبًا، وأمَّا المفصَّل فيحتاجُ إلىٰ علم، يحتاج إلىٰ مقدِّمات تارة لغوية، وتارةً أصولية، وتارة من واقع حال العرب.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ ابتداءً بالمفصَّل بعد المُجمل؛ ابتداء بردِّ شبهة وهي شبهةٌ تحتاج إلىٰ تأمُّل؛ لأنَّ أكثر الذين يكون عندهم نوعُ قُربٍ أو قبول للتَّوحيد ربّما تروج عليهم هٰذه أكثر من غيرها.

فقال: (وَأَمَّا الجوَابُ المُفَصَّلُ: فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ لَهُمُ اعْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَىٰ دِينِ الرُّسُلِ يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ).

هٰذه الكلمة (وَأَمَّا الجوَابُ المُفَصَّلُ) ليست موجودة في كثير من النسخ المطبوعة، ولم أرَ النُّسخ الخطية حتىٰ نتثبَّت هل هي موجودة أم لا؟

وعلىٰ العموم فإنَّ الشُّبهة علىٰ الجواب المفصل، الشبهة التي سيجيب عليها في المفصل هي قولهم: (نَحْنُ لا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا) إلىٰ آخره، فقوله إذن: (وَأَمَّا الجوَابُ المُفَصَّلُ: فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ لَهُمُ اعْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَىٰ دِينِ الرُّسُلِ يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ) هو إيرادٌ لهٰذه الاعتراضات الكثيرة علىٰ التَّفصيل، ويلزم من إيراد الاعتراضات إيراد الأجوبة فقوله: (فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ لَهُمُ اعْتِرَاضَاتٌ) هٰذا لأجل أنَّه سيُورد بعد الاعتراضات الأجوبة، هٰذا من ناحية الأسلوب ومن ناحية التَّأليف؛ لٰكِن المعنىٰ ظاهر.

قال: (مِنْهَا : قَولُهُم: نَحْنُ لا نُشْرِكُ بِاللهِ [شَيْئًا]، بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لا يَخْلُقُ وَلا يَرْزُقُ [وَلا يُحْيِي وَلا يُمِيتُ وَلا يُدَبِّرُ الأَمْرَ] وَلَا يَنْفَعُ ولا يَضُرُّ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلا ضَرًّا، فَضْلًا عَنْ عَبْدِ القَادِرِ أَوْ غَيْرِهِ، وَلَكِنْ أَنا مُذْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُم جَاهٌ عِنْدَ اللهِ، وَأَطْلُبُ مِنَ اللهِ بِهِمْ.)، قال: (فَجَاوِبْهُ بِما تَقَدَّمَ؛ وَهُوَ: أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ [لِي -أَيُّها المُبْطِلُ-]، وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُم لا تُدَبِّرُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا أَرَادُوا [مِمَّن قَصَدُوا] الجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ، واقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضَّحَهُ) هٰذه الشُّبهة يُمكن تقسيمها إلىٰ أقسام:

الجملة الأولىٰ: قولهم: (نَحْنُ لا نُشْرِكُ بِاللهِ)، وهٰذا القول منهم يريدون به الإشراك بالله في الرُّبوبية، ولهٰذا قالوا بعده: (بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لا يَخْلُقُ وَلا يَرْزُقُ) إلىٰ آخره، وقولُهم: (نَحْنُ لا نُشْرِكُ بِاللهِ) راجعٌ إلىٰ أنَّ الشِّرك له حقيقة شرعيَّة جاءت في النُّصوص؛ ولكن حُرِّفت هٰذه الحقيقة وصُرِفت عن وجهها.

ففي النُّصوص الإشراك والشِّرك هو اتِّخاذ النِّد مع الله جل وعلا في المحبة والعبادة، الإشراك أو الشِّرك هو أن يُجعل لله شريك إما في ربوبيته أو في ألوهيته أو في أسمائه وصفاته؛ يعني أن يُعتقد أن له مماثلًا في اتِّصافه وفي أسمائه، هٰذا معنىٰ الشِّرك.

ولهٰذا الشِّركُ في النُّصوص تارة يتوجَّه إلىٰ الشرك في الإلهية، وتارة يتوجَّه إلىٰ الشِّرك في الرُّبوبية.

أما الشِّرك في الربوبية فكقوله جل وعلا في سورة سبإ مثلا: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾[سبأ:٢٢]، يعني من شركٍ في التَّدبير والتَّصريف.

وتارة يكون نفي **الشِّرك أو النهي عنه لأجل الألوهية** كقوله جل وعلا في آخر سورة الكهف: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف:١١٠]، هٰذا شرك في الألوهية في العبادة، والآيات أيضا في هٰذا كثيرة.

والشرك الثالث في الأسماء والصفات كقوله جل وعلا: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف]، وكقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾[النحل:٧٤]، وكقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ]، وكقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص].

هٰذا هو الذي يَعلمه أهل العلم بما دلّت عليه بالتَّنصيص الآياتُ، فكان ذلك معلومًا عند العرب تفهمه بلغتها.

لما أتىٰ اليونان إلىٰ بلاد المسلمين بكتبهم؛ يعني استقدم بعضُ المسلمين كتبَ اليونان في قصة معلومة، ولا بأس أن نذكرها، وهي أنَّ أحد ولاة العباسيِّين أرسل وفدًا إلىٰ ملك الرُّوم، وطلب منه أنْ يُرسل إليه بكُتب الأوائل التي عنده؛ كتب الأوائل المقصود بها كتب الروم واليونان وكتب من يسمونهم الحكماء والفلاسفة، فعرض هٰذا علىٰ المَلك الموفدون من عند الوالي المسلم من ولاة العباسيِّين، فقال: أمهلوني، فاستشار علماء النَّصرانية وعلماء بلده، فقالوا له وكانت موجودة في بيت للكتب: هٰذه هي زينة مملكتنا فكيف تُعطيهم إيَّاها، فأجبه بالنَّفي، فإنَّ هٰذه لا يجوز أن تُخرج من بلدِنا. وسكت واحد منهم فقال له: مَا لك سكتّ؟ وكان من حكمائهم وحذاق علماء نحلتهم وملتهم، فقال: يا عظيم قومنا أرىٰ أن تُرسل بالكتب إليهم ولا تمنعهم منها. فقال له: ولم؟ قال: لأنَّ هٰذه الكتب ما دخلت إلىٰ أمة إلا

أفسدت عليها دينها. ووافقه عليه البقية، فحصل أنها أُرسلت الكتب -كتب اليونان- وتُرجمت إلىٰ آخر ذلك.

اليونان فلاسفة، أرسلت كتب أرسطو وأفلاطون، هٰذه الفلسفة غايتها توحيد الرُّبوبية، غايتها أن ينظر في الملكوت، ينظر في الوجود فيُثبت أن هٰذا الكون له صانع؛ لأنَّ هٰذا غاية الحكمة؛ يُثبت أن هٰذا الكون معلولٌ عن علة، وهٰذه العلة عاقلة؛ فيسمونها علة العلل أو العقل الأول في كلام فلسفي له تفاصيل.

فدخل هٰذا علىٰ المسلمين، فلما دخل رأىٰ من قرأ تلك الكتب بعد ترجمتها أنَّ هٰذه هي كتب الحكمة وكتب الحكماء وكتب الفلسفة؛ يعني طلب الحكمة.

قالوا: إنَّ هٰذه هي الغاية، فكيف نوجد وسيلة للجمع ما بين الشَّريعة؛ ما بين الإسلام -القرآن- وما بين هٰذه الكتب وفلسفة اليونان؟ فأخرجوا ما يسمَّىٰ بعلم الكلام؛ وهو خليط من الشريعة -من النصوص- وما بين عقل الفلاسفة، وهٰذا الخليط جُعلت فيه الشريعة والعقل هٰذا يقارِن هٰذا، وهٰذه تقارن ذاك، يعني ما قدَّموا الشريعة علىٰ العقل ولا العقل علىٰ الشريعة، فنظروا في هٰذا ونظروا في هٰذا؛ لكن ينظرون في الشريعة بالعقل، وينظرون في العقلانيات بالشريعة.

هنا نظروا إلىٰ أن غاية الغايات هو النَّظر في الملكوت، فلهٰذا أجمع المتكلِّمُون علىٰ أنَّ أول مهمة، علىٰ أنَّ أول واجب علىٰ العبد أن ينظُر في الملكوت ويُثبت وجود الله جل وعلا.

هٰذا الأصل صار مستغرِقًا عندهم لا مَحيد عنه، وخاصة بعد مرور عقيدة جهم أن الغاية عنده إثبات وجود الله أيضا في مناظرته مع طائفة السُّمنية كما ذكرتُ لكم فيما سبق.

هٰذا الخليط الذي نتج صار هو الغاية عند كثير من النَّاس، فبالتالي نظروا في تفسير كلمة التوحيد، الشَّريعة فيها (لا إله إلا الله) هٰذه أصل التَّوحيد، وكلام الحكماء -كما يقولون- فيه أنَّ الغاية هو إثبات وجود الله والنظر في علَّة العلل، والنظر في الملكوت حتىٰ يُطلب الحكمة فيما وراء الطبيعة. فقالوا: لأن ذاك عقل صحيح وهٰذه الشريعة صحيحة معناه أن يفسَّر إله بالعلة؛ علة العلل؛ لأنَّ أول واجب في الشريعة (لا إلٰه إلا الله)، أول واجب في الفلسفة أن ينظر في الملكوت فيُثبِت أن لهٰذا الملكوت أو لهٰذا الكون علة نتج عنها.

فخلطُوا ما بين هٰذا وهٰذا، فقالوا: إذن، ولا يمكن للعقل أن يكون مخطئا -عندهم نتاج الفلاسفة عقل قطعي-، ولا يمكن أن تكون الشريعة أيضًا فاسدة، فهٰذا صحيح وهٰذا صحيح، فقالوا: إذن نفسر الإله بأنَّه الخالق؛ بأنه القادر علىٰ الاختراع. نظروا قالوا: لكن (إلٰه) في اللغة ليس معناه الخالق. فتأمَّلوا في ما جاء في كتب اللغة فوجدوا أن هناك من قال: إلٰه هٰذا بمعنىٰ آلِهْ إذا جعل غيره متحيِّرا، فَأَلَه الرَّجل تحيَّر وتردّد، وهٰذه مادة ربما تكون موجودة في بعض استعمالات العرب، أَلَهَ الرَّجل يعني تحيَّر وتردّد، فقالوا: إذن (لا إلٰه إلا الله) إذا كان معنىٰ الإله هو الخالق القادر علىٰ الاختراع فهو الذي فيه تتحيَّر الأفهام؛ لأن قصدَهُم هنا أن ينظر، وهم إذا نظروا وتأملوا تحيَّرت الأفهام حتىٰ يثبت الوجود، فقالوا: هنا التقت اللُّغة مع الشريعة مع العقل. وهٰذا قرَّروه في كتبهم، فحصل منه أنّ معنىٰ (لا إلٰه إلا الله) عندهم: لا قادر علىٰ الاختراع إلَّا الله، لا خالق إلَّا الله.

وإذا كان كذلك فيكون الشِّرك الذي يُخرج من كلمة التوحيد هو أن يقول: ثَم قادر علىٰ الاختراع، ثَم رازق، ثَم من تحيّرت الأفهام في حقيقته غير الله جل وعلا، فمتىٰ يكون مشركًا عندهم؟ إذا لم يُثبت (لا إلٰه إلا الله)، ومتىٰ لا يثبت (لا إله إلا الله)؟ إذا قال: إنه ثَم خالق غير الله جل وعلا.

هٰذا الخليط من العقل واللغة الضعيفة التي نقلوها أو القليلة والشرع فيما نظروا فيه -يعني في بعض النصوص- أنتج لهم: أنَّ الشِّرك هو الشِّرك في الربوبية؛ يعني اعتقاد أن ثَم خالقًا مع الله جل جلاله، ودُوِّنَ هٰذا في كُتب المتكلمين الأوائل ونقله عنهم الأشاعرة، وأثبتوا ذلك في كُتبهم، ولهٰذا الأشاعرة والماتريدية يقولون: أوَّل واجب عند العبد النظر، وبعضهم يقول: الشَّك، وبعضهم يقول: القَصْد إلىٰ النظر فهٰذا أول واجب.

والإله من هو؟ الإله:

منهم من يقول: الإله: هو القادر علىٰ الاختراع.

ومنهم من يقول: الإله: هو المستغنِي عما سواه المفتقِرُ إليه كل ما عداه.

ومنهم من يقول: الإله: بمعنىٰ آلِه وهو المحيِّر، فلا يوصَل إلىٰ حقيقته، وهو الله جل وعلا.

فنتج من هٰذا -وهو موجود في كتب المتكلمين وكتب الأشاعرة والماتريدية إلىٰ يومنا هٰذا- نتج من هٰذا انحراف خطير في الأمة، وهو أن الإله ليس هو المعبود، وأن (لا إلٰه إلا الله) معناها لا قادر علىٰ الاختراع إلا الله، لا مستغنيًا عما سواه ولا مفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله، لا متحيِّرًا في حقيقته إلا الله،

فنتجَ من ذلك إخراج العبودية عن أن تكون في كلمة التَّوحيد، ونتج من ذلك الانحراف الخطير أنّ لا إلٰه إلا الله ليست نفيًا لاستحقاق أحدٍ العبادة مع الله جل جلاله.

فنتج وهي النتيجة التي قدَّم لها الشيخ هنا أن طوائف كثيرة من المؤمنين -يعني من المسلمين- فَشَا فيهم كلام الأشاعرة هٰذا وكلام المتكلمين وكلام المبتدعة هٰذا في معنىٰ كلمة التوحيد، فيكون معنىٰ الشرك عندهم راجعٌ إلىٰ واحد ممَّا دلت عليه النصوص وهو الإشراك في الرُّبوبية الذي جاء مثلا في سورة سبإ وفي غيرها.

أما الإشراكُ في العبادة ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف:١١٠]، فهٰذا عندهم لا يَنْقُضُ كلمة التوحيد.

نظروا بعد ذلك فيما فعلته العرب -ستأتي الشبهة التي تليها- فيما فعلته العرب بما أشركت العرب؟ قالوا: أشركت بعبادتها الأصنام، وبأنها ما وحَّدت الله في ربوبيته، ولم تقل: (لا إلٰه إلا الله)؛ بل قالت: إن الأصنام لها نصيب من الإلهية؛ يعني لها نصيب من الرُّبوبية؛ ولهٰذا مِن أعظَم ما راج علىٰ كثير من المفسِّرين من المتقدِّمين والمتأخِّرين، وراج علىٰ كثير من علماء الأمصار أنَّ الألوهية تفسَّر بالربوبية، وأن (لا إلٰه إلا الله) تفسر بمقتضيات الربوبية، هٰذا نتيجة لهٰذا الانحراف، لهٰذا هٰذا المشرك الذي قال في شبهته -قد يكون عالمًا وقد يكون غير عالم- يقول: (نَحْنُ لا نُشْرِكُ بِاللهِ) هو قال هٰذه بحسب اعتقادِه، هو لا يشرك بالله بحسَبِ اعتقاده أن الشرك إنما هو الشِّرك في الربوبية وليس في الإلهية، وهٰذا نتيجة لما ذكرتُ لكم.

فإذن هٰذه الكلمة (لَا نُشْرِكُ بِاللهِ) ردُّك عليها -كشْفُ هٰذه الشبهة- كما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر الكلام وبما أوضحتُ لك في أنه:

أولا: تُوضِحُ موارِد الشِّرك في القرآن، ما الذي نُفي من الإشراك بالله، نُفيت الثلاثة التي ذكرت لك وكل واحدة عليها أدلة، حبذا تجمع هٰذه الأدلة في كل موضع؛ يعني في كل نوع وتحفظ ذلك، هٰذا نوع.

الثَّاني: معنىٰ الإشراك في النُّصوص.

الثَّالث: أن تبيِّن أن الانحراف وقع، فصُرِف معنىٰ الإشراك عن معناه في النصوص إلىٰ المعنىٰ الباطل، ونتج عنه أن كلمة التوحيد فُهمت أيضًا غلطًا، وفُهِم منها أنها نفي لربوبية غير الله جل وعلا،

وهٰذا باطل.

فإذن قولهم: (نَحْنُ لا نُشْرِكُ بِاللهِ) هٰذه جملة يمكن أن تردَّها تفصيلًا، وهٰذه الشُّبهة التي أوردُوها لها رد بما أورده الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

الشيخ ما أجاب عن كل جُملة جملة؛ لكن أجاب عن النتيجة التي وصلوا إليها بهٰذه المقدمات الباطلة، قالوا: (نَحْنُ لا نُشْرِكُ بِاللهِ) لِمَ لا تشركون بالله؟ قالوا: لأننا (نَشْهَدُ أَنَّهُ لا يَخْلُقُ وَلا يَرْزُقُ [وَلا يُحْيِي وَلا يُمِيتُ وَلا يُدَبِّرُ الأَمْرَ] وَلَا يَنْفَعُ ولا يَضُرُّ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ) يعني لا يخلق ولا يرزق استقلالًا ولا ينفع ولا يضر استقلالا إلا الله وحده لا شريك له، (وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلا ضَرًّا) كما جاء في النُّصوص يقولون: نحن نقول ذلك؛ فهو عليه الصلاة والسلام لا يملك نفعا ولا ضرا، استقلالا لا يمكن أن يعطينا شيئا؛ ولكن هو عليه الصلاة والسلام يمكن أن يعطينا عن طريق الوساطة، عن طريق التقريب، عن طريق التزلّف؛ يعني أن يقرِّبنا زلفىٰ.

وهٰذه الشبهة أوّل من أوردها -فيما أعلم- في كتابهم ورسائلهم المشهورة «رسائل إخوان الصفا» الرسائل الخمسين المعروفة، فإنهم قرّروا أنَّ التوحيد هو الربوبية، وأن هؤلاء الأموات من الأنبياء والصالحين أنهم لا يملكون نفعا ولا ضرًّا كما قال هنا هٰذا الذي أورد الشبهة، ولكن تتوسط بهم، لِمَ تتوسط بهم؟ علّلوا بأن أرواحهم عند الله؛ لأنَّ الله قال عن أرواح الشهداء: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[آل عمران:١٦٩]، والعندية معناها أن لهم القربىٰ عند الله، فلهم الجاه ولهم الزلفىٰ عند الله جل وعلا، فإذا سألتهم، إذا دعوتهم فإنما تتوسَّط بهم، لا تسألهم استقلالا، فيقول: هؤلاء نحن لا نعتقد أن هٰذا ينفع ويضر بنفسه، ينفع ويضر استقلالا، ويخلق استقلالا، يرزق استقلالا، حاشا وكلا، ولكن يمكن أن يخلق الله بواسطته، الولد في رحم الأم إذا سألناه، يمكن أن يرزق الله بواسطة شفاعته؛ لأنَّه مقرَّب عند الله جل جلاله[1] هٰذا التقريب عند الله جل جلاله وَصَفوه بقولهم: (وَلَكِنْ أَنا مُذْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُم جَاهٌ عِنْدَ اللهِ) فقدموا هاتين المقدمتين، يقول: (أَنا مُذْنِبٌ) والمذنب لا يمكن أن يكون وليا لله أو مقربا عند الله، فعلىٰ اعتقاده أنه لا يمكن أن يصل إلىٰ الله مباشرة، وأولئك قالوا: (الصَّالِحُونَ لَهُم جَاهٌ عِنْدَ اللهِ) هٰذا الجاه ماذا يفعل؟ قالوا: هٰذا الجاه بمعنىٰ أنه لو سأل لم يَرُد، (وإن من عباد الله من لو أقسم علىٰ الله

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط السابع.

لأبرَّه)، فأتىٰ من هٰذه الشبهة وردَّ التوحيد باعتبار أن هٰذا الصَّالح الذي عند الله جل وعلا مقرّب وهٰذا الصَّالح الذي عند الله له الزلفىٰ والمقام الأعظم بحيث إنَّه لو سأل لم يُرد.

تكملة الشبهة قالوا: (وَأَطْلُبُ مِنَ اللهِ بِهِمْ) أطلب من الله: لا منهم؛ يعني أني لا أسألهم؛ ولكن (وَأَطْلُبُ مِنَ اللهِ بِهِمْ)، كلمة (بِهِمْ) هما ليس معناه التوسل بهم يعني بجاههم؛ يقول أسأل الله بالنبي، أسأل الله بالولي، أسأل الله بأبي بكر وعمر؛ لأن سؤال الله بالصالحين هٰذا بدعة ووسيلة إلىٰ الشرك وليس شركا أكبر؛ ولكن القصد من قولهم: (وَأَطْلُبُ مِنَ اللهِ بِهِمْ) يعني أطلب من الله بوسَاطتهم وبشفاعتهم وبتقريبهم إيَّاي عند الله زلفىٰ.

فإذن كلمة (بِهِمْ) لا يُقصد بها التَّوسل بالجاه؛ لأن هٰذه بدعة وليس شركا، وإنما يقصدون بها الشفاعة والتَّقريب زلفىٰ.

قال: (فَجَاوِبْهُ بِما تَقَدَّمَ) هٰذه الشُّبهة تلحظ شكلها مركَّبة، لاشكَّ أنها شبهة وهي التي تروج عند الجميع، كيف واحد يؤمن بالله ويقول: إن الله واحد في ربوبيته لا ينفع إلا هو، ولا يخلق إلا هو، ولا يرزق إلا هو، إلىٰ آخر ذلك، ويقول: أنا مذنبٌ؛ ولكن أتوسَّل يعني أتقرَّب إلىٰ الله بالصَّالحين بشفاعتهم، أسألهم أن يدعو الله لي، أتقرّب إليهم بالدُّعاء حتىٰ يشفعوا لي عند الله جل وعلا، هٰذا لا يجعلني مشركًا، معناه -علىٰ حدِّ قولهم- هو لا يشرك بالله وهٰذا ليس شركا بالله، فما الجواب؟

قال: (فَجَاوِبْهُ بِما تَقَدَّمَ؛ وَهُوَ: أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ).

هٰذا الآن **الدَّرجة الأولىٰ من الجواب**، تقول الآن له: نحنُ معك فيما ذكرت؛ لٰكِن ننظر إلىٰ حال المشركين الذين قاتلهم النبيُّ ﷺ وحكم عليهم بالكفر والشِّرك، ما حالهم؟ ننظر إلىٰ القرآن ماذا فيه؟

القرآن فيه أنهم مقرُّون بأن الله هو الخالق وحده، وهو الرَّازق وحده، وهو الذي ينفع وحده وهو الذي يضر وحده، إذا قال: ما الدليل علىٰ هٰذا؟ هل المشرك كان يعتقد هٰذا؟ نقول: نعم مشركو العرب كانوا يعتقدون ذلك كما قال الله جل وعلا: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[الزخرف:٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[الزمر:٣٨]، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف]، وقال جل وعلا: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ

لِلَّهِ﴾[المؤمنون]، وفي آية سورة يونس: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾[يونس:٣١].

إذن في آيات كثيرة هٰذا الاعتقاد الذي وصفتَ أنك لست مشركا باعتقاده، نقول: هٰذا وصف الله جل وعلا به مشركي العرب، مشركي أهل الجاهلية، هٰذه الدرجة الأولىٰ من جواب هٰذه الشبهة.

الدرجة الثانية: (وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُم لا تُدَبِّرُ شَيْئًا)، الأوثان جمع وثن، وهو المتَّجَه إليه بالعبادة، وفي غالبه لا يكون علىٰ هيئة صورة.

والأصنام ما كان علىٰ هيئة صورة، وقد يقال للأصنام: أوثانا باعتبار أنها معبودة من دون الله جل وعلا؛ كما قال جل وعلا في صورة العنكبوت في قصة إبراهيم: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[العنكبوت:١٧]، وفي الآيات الأخرىٰ في قصة إبراهيم قال: ﴿مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنبياء].

فإذن هي أصنام وأوثان، فالأوثان ما لم يكن علىٰ هيئة صورة.

فإذن نذهب إلىٰ شرك المشركين ونقول له: المشركون مقرُّون بأن أوثانهم لا تدبر شيئا. إذن المشرك مقر بأن الوثن ليس له نصيب في التَّدبير، فإذن ما رفضه من كلمة (لا إله إلا الله) وصار به مشركا ليس من جهة اعتقاده أن ثَم مدبِّرا غير الله جل جلاله؛ لأنَّ الله جل وعلا قال: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس:٣١] هٰذه المقدمة الثانية.

فالمقدمة الأولىٰ: اعتقاد المشركين في الربوبية في الله جل وعلا أنه هو المتفرِّد بالأمر، كما قال ذلك عن نفسه؛ يعني كما قال المشركُ عن نفسه أنه يشهد هٰذه الشَّهادة.

الخطوة الثانية: اعتقاد أولئك في الأوثان بم؟ قال: اعتقد في الأوثان العربُ أنها لا تدبِّر شيئا.

إذا استدللت له بالآيات وبحال العرب يأتي النتيجة وهي: (وَإِنَّمَا أَرَادُوا [مِمَّن قَصَدُوا] الجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ)، لماذا أرادوا الجاه والشفاعة فقط؟ لأن الله جل وعلا قال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[الزمر:٣] ومن المتقرر في اللغة أن كلمة (مَا) وبعدها (إلاَّ)، (ما) النافية التي تأتي بعدها (إلا) هٰذه تفيد الحصر؛ فكأنه قال عن قولهم: لا نعبدهم لشيء ولا لعلة من

العلل، لا لأنهم يملكون الرِّزق ولا يملكون الموت والحياة، ولا لأنهم يدبِّرون الأمر، ولا نعبدهم إلا لشيء واحدٍ: وهو أن يقرِّبونا إلىٰ الله زلفىٰ.

فإذن ينتج من ذلك أنّ المشركين كان شركهم باعتقاد أن هٰذه الأوثان تقرِّب إلىٰ الله زلفىٰ، باعتقاد أن هٰذه الأوثان لأجل أن لها منزلة عند الله وأن لها جاه عند الله فهي تقرِّب.

ما هٰذه الأوثان التي عُبِدت؟ الملائكة، أليس كذلك؟ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ﴾[سبأ]، وقال جل وعلا في الأولياء: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾[الشورىٰ:٩]، وقال جل وعلا في قصة عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[المائدة:١١٦]، وقال للنبي عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[الجن].

إذن نُوِّعت المعبودات المنفية.

ولما نزل قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾[الأنبياء] فرح المشركون قالوا: إذن سنكون مع الصالحين: سنكون مع اللَّات، وسنكون مع عيسىٰ، وسنكون مع عزير، وسنكون مع كذا وكذا، مع مَن عبدنا. فأنزل الله جل وعلا قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنبياء] الآيات.

إذن ترتَّب علىٰ ما ذكرنا أن ما قاله صاحب الشبهة هي دعوىٰ، لا تجابهُ بأن تقول: هٰذه دعوىٰ؛ بل أنت مشرك، لا، تقول له: نأخذها واحدة واحدة، أنت الآن تقول: أنا لا أشرك بالله وأنك تشهد كذا وكذا، فنقول: ننظر إلىٰ حال المشركين في الآيات.

فإذا تأملت حال المشركين وقصصت عليه وتلوت عليه الآيات وأفهمته إياها كيف كانت حالة المشركين وأنهم مُقِرُّون بما أقرّ هٰذا به.

فإذن تَنْقُله إلىٰ الخطوة الثانية: وهي أن المشركين كانوا لا يعتقدون في أوثانهم أنها تدبِّر شيئا.

ننقله بعد ذلك الخطوة الثالثة فيما قدَّمتُ لك سالفا في معنىٰ الشرك، ما معنىٰ الشرك، ومعنىٰ كلمة لا إلٰه إلا الله، ثم تنقله إلىٰ أن أولئك لم يرضوا بـ(لا إله إلا الله) لأنهم إنما أرادوا الزلفىٰ بنص الآية، وأرادوا الشفاعة بنص آية الزمر أيضا؛ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر]، فهي له وحده دون ما سواه؛ يعني مِلكًا، هو الذي يخبرك عن حكمها جل وعلا لا تبتدئ أنت بتصريف أمرك في الشفاعة كما تريد؟ لا، هي لله جل وعلا سبحانه استحقاقًا، وله جل وعلا مُلكًا وأمرًا ونهيا.

قال: (واقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضَّحَهُ.).

بهٰذا يتبيَّن لك أن هٰذه الشبهة وهي من الشُّبه التي قد تواجهها، كثير من الناس تروج عليه؛ يقول كيف أنا مؤمن أنا كذا وكذا، يعني علىٰ شان ذهبت إلىٰ رجل من الصالحين والأولياء عند قبره وقلت له: اشفع لي فإن لك جاه عند الله ومقاما عند الله، فاسأل الله لي أن يرزقني ولدًا، اسأل الله لي أن يعطيني وظيفة، واسأل الله لي أن ييسر أمري، أكون مشركا كأبي جهل وكذا.

هٰذه تروج علىٰ كثير من جهة العاطفة، ومن جهة التقريب، إنما أنا أصلي وأنا أزكي وأنا كذا، وأعتقد أن الله هو الخالق الرازق، أنا لا أشرك بالله جل وعلا، فينفي شيئًا هو في حقيقته واقعٌ فيه.

ولهٰذا قال الصنعاني في رسالته «تطهير الاعتقاد»(١)، وكذا الشوكاني في رسالته «توحيد العبادة» المعروفة قالوا فيما جابهوه في اليمن قالوا: إن الأسماء لا تغيِّرُ الحقائق؛ يعني إن غير المشركون وعلماء المشركين الأسماء فإن الحقائق لا تتغير، إذا سمَّوْا طلب الشفاعة وطلب الزُّلفىٰ توسّلا فإن هٰذا لا يغيِّر الحقيقة، إذا سمَّوه سؤالا بهم كما قال الشيخ هنا عنهم قالوا: (وَأَطْلُبُ مِنَ اللهِ بِهِمْ) فهٰذا لا يغير حقيقة الأمر وهو أنهم يطلبون من الله صحيح؛ ولكن متوسّلين بشفاعة أولئك لا بذواتهم، فالتوسل بشفاعتهم: اشفع لي، واسأل الله لي، واطلب من الله لي، واسأل الله لي وأشباه ذلك، هٰذا كله هو طلب الزلفىٰ، أو يتقرب إليهم ليشفعوا من دون التنصيص علىٰ الشفاعة، يقول: أنا أتقرب إليه؛ أذبح، صحيح الولي؛ ولكن أنا أقصد الذبح لله؛ لكن للولي حتىٰ ينعطف قلب هٰذا العبد الصالح عليّ لأني ذبحت فيسأل الله لي.

---

(١) «تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد» تأليف المحدث محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني.

فإذن مقصود من عبد غير الله، من عبد الأوثان، من عبد الأصنام، من عبد القبور، من عبد الأولياء، من عبد الموتىٰ، مقصودهم أن يشفع أولئك لهم، ليس مقصود أولئك أن يتّخذوا هٰذه أربابا أو آلهة استقلالا، ما هٰذا المقصود أحد ممن أشرك؛ ولكن هٰذا مقصود أولئك من أنهم يريدون القربىٰ والزلفىٰ.

فإذن تحتاج في ردّ الشبه إلىٰ:

- أن تتدرج بالمقدمات أولا.
- الثاني أن تفهم كيف ترد الشبهة بعمومها، وكيف تفصل جمل الشبهة فترد عليها بخصوصها.
- الثالث أن تقدّم الرد المجمل أو الرد الإجمالي علىٰ ما أورد من الشبهة برد مفصل علىٰ تفصيل كل جملة جملة، مثل ما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

هنا قال: اذكر لهم حالة المشركين لا تجادلهم بأنه لست أنت مشرك أو أنه كذا وكذا، لا؛ ولكن صف له حال المشركين علىٰ تفصيل الكلام الذي ذكرنا، ثم انتقل بعد ذلك: إلىٰ معنىٰ كونه مشركا، إلىٰ معنىٰ كونه نافىٰ كلمة التوحيد إلىٰ آخر ما ذكرنا.

هٰذه من المهمات في أن تتصوَّر كيف تتدرج في رد الشبهة، واحذر من أن تنساق في رد الشبهة مع العاطفة فتجابهه بكلام قد يقوي الشبهة عنده، فلا بد أن يكون الانتقال كما عليه قواعد إقامة البرهان وإقامة الحِجاج مع المخالف؛ أن تنتقل في شأنه من المتفق عليه إلىٰ ما هو أقل اختلافًا، ثم إلىٰ ما هو أكثر، وهكذا.

المسألة التي يقوىٰ الاختلاف فيها لا تبتدئ بها، ابتدئ بالواضح واضح جدا، ثم انتقل بعده درجة إلىٰ الأقل وضوحا، ثم إلىٰ الأقل وضوحا وهكذا، أما إذا ابتدأت بما هو أكثر إشكالًا فإنه لن يقتنع؛ لأن ما هو أكثر إشكالا يحتاج إلىٰ مقدّمات كثيرة.

فإذن تبتدئ معه بما هو أكثر وضوحًا، والأكثر وضوحا:

- وصف حال المشركين من مشركي العرب من جهة إقرارهم بالربوبية، واحد.
- الثاني: إقرارهم بأن أوثانهم لا تدبر شيئًا.
- الثالث: بأنهم إنما أرادوا الزلفىٰ والشفاعة بنصوص القرآن في ذلك.

لكن لو ابتدأت معه بمعنىٰ العبادة ربما يأتيك بمخالفات، يقول لك: لا العبادة هي كذا، إذا أتيت معه في التكفير، هنا يخالفك يقول لك: لا، هو كذا وكذا وكذا، فتبتدئ معه بتقرير شرك المشركين وترد عليه شبهته هٰذه بأن أولئك ما أرادوا إلا الزلفىٰ، **فالتدرج إذن مهم**.

وبعض الذين دعوا إلىٰ التوحيد مع الأسف أوقعوا المدعو في شبهة أعظم مما كانت عنده، لأنه جاء للمستغلَق من المسائل فأراد أن يجيب عليها بما عنده واضح؛ لكن هي ليست بواضحة، فأراد أن يجيب فزاد الإشكالَ إشكالا.

الشبهة الثانية تحتاج إلىٰ وقت أيضا وهي قوله: (فَإِنْ قَالَ: [إِنَّ] هَؤلاءِ الآيَاتِ نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَحْنُ لا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، كَيْفَ تَجْعَلُونَ الصَّالحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟) هٰذه تحتاج إلىٰ رد أيضا مفصَّل.

ننبه إلىٰ أنه بقرب الحج والمدة القادمة أكثر الوقت ربما أكون في مكة إن شاء الله، فالدروس تقف بعد اليوم، ونبدأ إن شاء الله في ٢٠/ ١٢ إن شاء الله.

[الأسئلة]

سؤال (): هل توزيع رسالة «كشف الشبهات» في موسم الحج مناسب؟

الجواب: نعم مناسب ما فيه شك أنه مناسب؛ لأنه هو وضع سهل العبارة واضح البيان.

سؤال (): هل يمكن لأهل السنة والجماعة أن يستخدموا كلمة (إلٰه) بمعنىٰ محيِّر؟

الجواب: لا، لا يمكن؛ لأنها صارت لها معنًىٰ شرعيًّا جاءت في النصوص بمعنىٰ معبود، خلاص لا تستخدم تلك الكلمة في غير ما جاءت في النصوص؛ لكن نقول: هٰذا المعنىٰ هم قالوا: إنه ورد في اللغة هٰذا علىٰ شكل شاذ. بمعنىٰ إذا ورد في نص يعني في شعر أو في خطبة من خطب العرب أو نحو ذلك فنفهم المعنىٰ بمراجعة كتب اللغة، أما كلمة (إلٰه) فهي لا نستخدمها إلا بمعنىٰ المعبود، (إلٰه) بمعنىٰ مألوه معبود.

سؤال (): ما الفرق بين أن يدعو أحد الله بأبي بكر أو بعمر، أو أن يدعو بواسطة أبي بكر أو عمر؟

الجواب: أنا نبهتكم علىٰ هٰذا.

التوسل، التوسل بغير الله في الدعاء له قسمان:

الأول: أن يسأل الله بذات فلان، أن يسأل الله بجاهه؛ يعني يقول: اللّٰهمَّ إني أسألك -في دعاء في المسجد أو في بيت أو في أي مكان- اللّٰهمَّ إني أسألك بمحمد عليه الصلاة والسلام، أسألك برسولك محمد، أسألك بأبي بكر، أسألك بعمر، أسألك اللّٰهمَّ بعثمان أن تعطيني كذا وكذا، فيكون هو قد سأل الله؛ ولكن جعل وسيلته فلانا؛ يعني عمل فلان، وعمل فلان له، وعمل النبي عليه الصلاة والسلام له، عمل أبي بكر له، عمل عمر له، فلا مناسبة بين سؤالك وسؤاله، والنبي عليه الصلاة والسلام ما أرشد إلىٰ هٰذا، لهٰذا نقول: هٰذا النوع بدعة، ولا يجوز؛ لأنه لا مناسبة بين عمل فلان وعمله، وبين ما عمله وقدمه وما بين ما عملت.

أو يسأله بجاهه فيقول: أسألك اللّٰهمَّ بجاه نبيك، بحرمة نبيك، بجاه أبي بكر، بجاه فلان من الصالحين أن تعطيني كذا وكذا، هٰذا أيضًا بدعة واعتداء في الدعاء، ووسيلة إلىٰ الشرك وهو القسم الثاني.

القسم الثَّاني: الذي هو شرك أكبر أن يكون معنىٰ التوسُّل أن يسأل الله متوسطًا بأولئك، ما يقول الله أعطني بفلان، لا، يقول: يا فلان اشفع لي عند الله، اللّٰهمَّ اعطني كذا وكذا بشفاعة فلان لي؛ هٰذا التركيب جميعا، أو يقول: يا نبي الله اسأل الله لي كذا وكذا، يا حسين اشفع لي عند الله بكذا وكذا، يا عبد القادر أسألك أن تسأل لي الله كذا، اشفع لي بكذا، يكون قد صلىٰ مثلا عند قبته عند قبره ركعتين تقربا أو طاف أو ذبح أو نذر أو من دون ذلك، فهٰذا معنىٰ الوساطة، الوساطة يعني أنه طلب منهم الوساطة، طلب منهم الزُّلفىٰ، طلب منهم الشفاعة.

ففرق بين أن يسأل الله بهم وما بين أن يتوسَّط عند الله بهؤلاء.

فالسؤال بهم أن يقول: اللّٰهمَّ إني أسألك بنبيك، أسألك بأبي بكر هٰذا بدعة ووسيلة للشرك واعتداء في الدعاء، أما لو سأل هٰذا أن يشفع له عند الله أو تقرب إليه بشيء من العبادات ليشفع له عند الله فهٰذا هو الشرك الأكبر الذي عناه الشيخ بما ذكرت.

سؤال (): هل المعبودات من الأحجار والأشجار تكون في النار مع من عبدها؟

الجواب: نعم، كلها والأصنام والجن الذين عُبدوا ورضوا بالعبادة.

سؤال (): الأخ يقول: أنا ما اتضحت لي الشبهة ولا ردَّها.

الجواب: مع أني اجتهدت في أن يكون الأسلوب بأكثر سهولة وأكثر وضوح، ما أدري إذا كان [مستغلقا] هٰذه مشكلة؛ يعني صعب أني أسهّل أكثر من كده، ودي الذي اتضحت له الشبهة ويتضح له الرد يشير بأصبعه يعني يرفع أصبعه، طيب جزاكم الله خيرا.

الذي هي واضحة عنده جدا، واضحة جدا، إيراد الشبهة والرد أيضا يرفع أصبعه.

طيب، وضوح متوسط واضحة؛ لكن بوضوح متوسط، التوسط معناه أنه يحتاج إلىٰ مراجعة؛ يعني فيما أوردت يحتاج يُراجع يراجع حتىٰ يفهمه من؟

طيب الأخير الذي ما اتضحت له يعني كان فيه قصور عنده في إيراد الشبهة أو إيراد الرد عليها يرفع، ما فيه عيب، هٰذا عشان أجتهد لكم أكثر أو أشوف لنا طريقة.

يقول: لماذا لا تصاغ الشبهة بأسلوب أكثر وضوحًا مما عليه، ثم يكون الجواب بأسلوب أوضح كذلك؟

أنا عندي أني أوضحتها وربما يُعتب علي كيف أوضحت الشبهة بمثل هٰذا التوضيح، هٰذا الذي جعلني في ما مضىٰ أتردد في شرح الكتاب كثيرًا؛ لأن تعليم الشبهات مشكلة، يعني إيضاح الشبهة ثم الرد عليها صعب وليس منهجًا؛ لكن بما أنكم من دعاة التوحيد وممن سينافحون عنه فلابد من إيضاحها؛ لعل الله جل وعلا يجعل منكم مجاهدين في سبيل الله.

سؤال (): هل تدخلون بعض المناظرات التي تقوم اليوم بين بعض الدعاة مع النصارىٰ وغيرهم من إيراد الشبهة علىٰ المدعو وإضعافها؟

الجواب: طبعا المحاجة والمجادلة فن، ولها علم خاص بها؛ علم البرهان وعلم الحجاج، وهي من علوم المنطق أو من علوم الفلسفة بالعموم وعلوم المنطق بالخصوص، تحتاج إلىٰ فهم؛ لأنه لابد من ترتيب المقدمات؛ يعني تهتم في الجواب سواء في الفقه في أي حجة تريد إبطالها أو تريد مناقشتها:

أولا تأتي بالمقدمات جميعا، وتنظر هل النتيجة بُنيت علىٰ هٰذه المقدمات مجتمعة، أو علىٰ واحدٍ منها، فإن كانت عليها مجتمعة نظرت في صلة المقدمات بعضها ببعض، فإن وجدت سبيلًا إلىٰ الطعن فيها كان هٰذا أقوىٰ حجّة.

شيخ الإسلام مع المتكلمين والفلاسفة يأتي للمقدمة ويطعن فيها، لما بُنيت عليه النتيجة، يطعن فيها بالعقل ويطعن فيها أيضا بالنقل، إذا كانت المقدمات كل واحدة أنتجت نتيجة، فتناقش كل مقدمة

علىٰ حِدة، إذا كانت هٰذه المقدمات ظنية ناقشتها مناقشة الظنيات، إذا كانت قطعية أيضا نظرت إلىٰ النتيجة التي نتجت عنها وتناقشها، هنا ترتب الحجاج بالأسهل فالأسهل، لا، تأتي بالأصعب ثم الأسهل ثم آخر شيء الأسهل، لا، تبتدئ بالمتفق عليه بالأسهل قبولا، ثم بما بعده.

فإذا تناقش واحد حتىٰ عند في البيت أو المجلس يأتيك مثلا في كلامك يأتي إلىٰ جزئية ويمسكها، تأتي أنت تنشغل عن الكلام كله وهو مهم ويُشغلك بجزئية في كلامك، تروح تناقشه في جزئية ويضيق لب الموضوع، هٰكذا تكون إذن أنت ضعيفا في الحجاج والنقاش؛ لأنه أضاع عليك الأصل بجعلك تلتفت إلىٰ جزئية.

وهٰذا الآن مع الأسف أهل الصحف وأهل المجلات أغرقوا كثيرا من الذين يكتبون كتابات إسلامية بشبهات صغيرة، والتأصيل العام لا يناقش، يأتي في كلام يعني شبهة فرعية من فروع الإسلام، فرع من الفروع، ويستغرقون ويسلطون عليه الضوء ويناقشونه، وأخذ ورد وأخذ وعطاء ليشغلوا الناس بذلك؛ لكن أين أصول الإسلام؟ هنا تُحجب؛ لأنه لو نوقشت الأصول صار الكلام فيها أقرب وأوضح، وصارت الحجة فيها من جهة العمل أقوىٰ، وإقامة الحجة علىٰ المخالف أوضح، خلاف الفرعيات، الفروع يكون كثير الخلاف فيها والجزئيات قد ما تصل مع المخالف فيها إلىٰ نتيجة واضحة.

فينتبه الذي يجيب علىٰ الشبهات ويحاجّ أي مخالف أو أي صاحب شبهة سواء في الأصول يعني في التوحيد أو في الفروع في الفقه فإنه ينبغي له أن ينتبه كيف يورد الجواب، وكيف يرتِّب الأجوبة حتىٰ يكون ذلك أبلغ في التأثير.

هنا الاعتبار بـ: لا تأتي في رد الشبه في المحاجة بتقديم العذر لمن تحاجُّه، لا تقل له أنت معذور؛ لأن هٰذا يقويه هو، خل استماعه لك ضعيفا، الأخ يقول: ألا أقول له: إن هؤلاء معذورون لأنهم جهال؟ لا تقل له معذور؛ بل تقول له المسألة عظيمة وهٰذا كفر وإيمان وشرك وإيمان، لابد تفهمها، لابد أن تكلم عنها بوضوح، إذا سهلت له الأمر تساهل صار ما عنده قلق من وضعه.

نكتفي بهٰذا القدر، أسأل الله جل وعلا أن يجمعنا وإياكم بعد الحج في ثبات علىٰ الطاعة وقبول للعمل.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد.